

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

كلية الآداب والفنون

قسم اللغة العربية

المقياس: النقد الأدبي المعاصر والمدارس النقدية المعاصرة.

المحاضرة رقم 03: المدرسة الأسلوبية **la stylistique**

الأسلوب **le style**

أ.د مختاري خالد (جامعة وهران 01)

السنة الثانية: دراسات لغوية.

السنة الأولى: ماستر – أدب جزائري

تقديم:

في الماهية ورد عند القدماء، يقول ابن منظور : يقال للسطر من النخيل أسلوب، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، والأسلوب الطريق والوجه والمذهب، ويجمع أساليب والأسلوب بالضم: الفن. يقال أخذ فلان في أساليب من القول، أي أفانين منه.

وقد استعمل علماء اللغة العربية المتقدمون لفظ الأسلوب في مصنفاتهم بشكل واضح وبدلالات متباينة لها في إيضاح معناها ، وفي الوقت ذاته لم يكن متداول بينهم لفظ الأسلوبية ، وإنما تم الأقتصار على لفظ الأسلوب وحتى يتكون لدينا صورة تقريبية للمفهوم.

– الأسلوبية اصطلاحاً:

ابن قتيبة فيعرفه: إنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره واتسع علمه وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب.

– الخطابي فيقول : وهنا نوع من الموازنة وهو أن يجري أحد الشعاعين في أسلوب من أساليب الكلام وواد من أوديته

– الباقلائي فيقول: وقد بينا في الجملة مبانة أسلوب نظم القرآن جميع الأساليب ومزيتة عليها في النظم والترتيب

– عبد القاهر الجرجاني فيقول: هو الضرب من النظم والطريق فيه "

- حازم القرطاجني فيقول : وهياة تسمى الأسلوب، وحب أن تكون نسبة الأسلوب إلى المعاني نسبة النظم إلى الألفاظ، لأن الأسلوب يحصل عن كيفية الاستمرار في أوصاف جهة من جهات غرض القول وكيفية الاطراد من أوصاف جهة إلى جهة، فكان بمنزلة النظم في الألفاظ الذي هو صورة كيفية الاستمرار في الألفاظ والعبارات والهياة الحاصلة عن كيفية النقلة من بعضها إلى بعض وما يعتمد فيها من ضروب الوضع و أنحاء الترتيب، فالأسلوب هياة تحصل عن التأليفات المعنوية، والنظم هياة تحصل عن التأليفات اللفظية.

- ابن خلدون فيقول: فاعلم أنها عبارة عنده على المنوال الذي تنسج فيه التراكيب، أو القالب الذي يفرغ فيه، ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته كمال المعنى الذي هو وظيفة الإعراب، ولا باعتبار إفادته أصل المعنى من خواص التراكيب، الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ويقول أيضا : عبارة عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب (أي النحو) ولا باعتبار إفادته كمال للمعنى من خواص التراكيب الذي هو وظيفة العروض إنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب منتظمة كلياً باعتبار انطباقها على تركيب خاص، وتلك الصورة التي ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويعيدها في الخيال كالقالب والمنوال ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرصّها فيه رصاً.

-وفي العصر الحديث عرف ميكائيل ريفاتير الأسلوب بأنه كل شيء مكتوب وفردى قصد به أن يكون أدباً¹.

وفي الفرق بين الأسلوب والأسلوبية (علم الأسلوب):

فالأسلوب وصف للكلام، والأسلوبية علم له أسس وقواعد ومجال. الأسلوب هو إنزال القيمة التأثيرية منزلةً خاصةً في سياق التعبير، أما علم الأسلوب فيتوجه إلى الكشف عن هذه القيمة التأثيرية) من ناحيةٍ جماليةٍ نفسيةٍ عاطفيةٍ. الأسلوب هو التعبير اللساني والأسلوبية هي دراسة التعبير اللساني.

1 - اتجاهات البحث الأسلوبى، لشكري عياد.

من العلماء من قال بأنّ مصطلح "علم الأسلوب" مرادف للأسلوبية، ومنهم من فرّق فقال بأنّ علم الأسلوب يقف عند تحليل النصّ بناء على مستويات التحليل وصولاً إلى علم بأساليبه.

أمّا الأسلوبية فهي تتجاوز النصّ المحلّل المعلومة أساليبه إلى نقد تلك الأساليب بناء على منهج من مناهج النقد المعروفة، ولكن الذي يظهر أنّ الفرق بينهما ضئيل جداً وأثهما يلتقيان في كثير من الجوانب.

لكن الفضل الأكبر ناله تلميذه شارل بالي (Charles Bally 1865-1947) وهو: "باحث لساني كان مختصاً في السنسكريتية واليونانية، ولما استوعب المفاهيم التي جاء بها دي سوسير وتمثلها عكف على دراسة الأسلوب فأرسى قواعد الأسلوبية المعاصرة ابتداء من سنة 1902".

لقد أحدثت معادلة دي سوسير المفرّقة بين اللغة والكلام ثورة في ميدان النقد الأدبي الحديث، باعتبار أن اللغة تمثل الثابت والكلام يمثل المتحول، بمعنى أن اللغة المعيارية ذات القواعد النحوية والصرفية الثابتة التي أوجدها علماء النحو، لا لشيء سوى أن يتقيد بها الجميع ويتكلمون بحسب تلك القواعد، سرعان ما يتجاهلها المتكلم ويحيد عنها من خلال الانحراف والانزياح والعدول عنها، ومع كثرة هذه الانزياحات والانحرافات تتحدد احتمالات عديدة وممكنة للكلام، ويصير المتكلم في وضع مريح يسمح له بنحت اللغة على حسب ما يريد التعبير عنه، مما خلق نوعاً من الحساسية تجاه النظام والمعيار النحوي تجلت في قول الشاعر:

ولست بنحويّ يلوك لسانه --- ولكن سليقيّ أقول فأعربُ

وهذه الحساسية وضّحها بشكل أفضل عبد السلام المسدي حينما اعتبر أن: "النحو مجال للقيود والأسلوبية مجال للحريات"².

ويرى عبد السلام المسدي: أن النحو مجال للقيود والأسلوبية مجال للحريات"³.

² - مدخل إلى الأسلوبية، قليل يوسف.

³ الأسلوب والأسلوبية، عبد السلام المسدي ص 18.

ومن هنا يعمد المتكلم إلى أن يختار من اللغة معجماً خاصاً يوظفه حسب غاياته التعبيرية، ويركّبه في شكل جديد وفريد، ينزاح عن المؤلف ويقدمه للقارئ في أبهى حلة فينفرد بأسلوبه الخاص.

ومن هنا تظهر عناصر ثلاث (الاختيار، التركيب، الانزياح) في تكوين العمل الفني والأدبي، وهي نفسها مقولات الأسلوبية الهامة في رصد الإبداع الأدبي وتتبع التميز فيه، وأن مقارنة أي نص أسلوبياً لا بد أن تطرق هذه العناصر الثلاث.

وعليه يمكننا أن نقول: أن علم اللغة يحاور "مايقال" بينما تحاور الأسلوبية "كيفية مايقال" ويحتم هذا الاعتراف إدراك ازدواجية الخطاب، وتقوم العلاقة بينهما بما تسمح به مبادئ الصرف والنحو، لتحديد القيم الحضورية والغياية للكلام والأسلوب معاً.⁴

وعلى الصعيد النقدي: "تعمل على اكتشاف طبيعة العناصر اللغوية التي جمعت تحت نسق متصل، وترفض ربط النص بعوامل خارجية بتركيزها على التحليل والفهم، دون استناد إلى التعليل والتبرير، وهي مهمة متروكة للنقد في ربطه الأدب بالقيمة"⁵. وغايتها الأولى أن تمد جسراً بين الأسلوب ومنتلقيه، فتقربه من نفسه من خلال منهج علمي محدد له خطوط مهمة حتى لا يضل في متاهات التفاسير التي تبتعد عن الصياغة⁶.

إن عناصر الاختيار التركيب الانزياح الظاهرة في العمل الأدبي هي نفسها مقولات الأسلوبية العامة في رصد الإبداع الأدبي وتتبع التميز فيه، فان مقارنة أي نص أسلوبياً لا بد أن تتطرق لهذه العناصر الثلاث.

ومن هنا تولدت الخصومة بين الباحثين من أنصار البلاغة، والمنادين بتجاوزها وتأسيس

نحو مستقل عنها، حيث وصف جوليان غريماس A. J. Greimas وجوزيف كورتيس

J. Courtés. [الأسلوبية بأنها: "مجال بحثي يندرج ضمن التقليد البلاغي، لم تفلح في تنظيم

4- انظر محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر 1984 ص: 129

5- انظر محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر 1984 ص: 271.

6- انظر عز الدين اسماعيل: الأدب والفنون، دار الفكر العربي ط 2 1973 القاهرة مصر، ص 73.

نفسها في علم مستقل " ، بينما وسم كل من ترفيتان تودوروف T. Todorov وأوسوالد دوكرو(ولد عام 1930 Oswald Ducrot (الأسلوبية أنها: "الوريث المباشر جدا للبلاغة".

وفي المقابل نجد ثلة من الباحثين ثارت على البلاغة إلى حد وصفها بالعجز واعتبر ريفائيل ميكائيل البلاغة من عراقيل الاسلوبية .

والأسلوبية كمنهج نقدي يصنفها جون دوبوا Jean Dubois على أنها: "فرع من فروع علم اللسان" ، وهذا ما يؤكد ميشال أريفلي Michel arrivé بقوله: "الأسلوبية وصف للنص الأدبي حسب طرائق مستقاة من اللسانيات" ، وهو إثبات لدور اللسانيات في بلورة مفهوم الأسلوبية، حيث يقول الهادي الجطلاوي: "الأسلوبية موضوعها النظر في الإنتاج الأدبي وهو حدث لغوي لساني" ، الأمر الذي دفع ب:رومان ياكسون (1896-1982) Roman Jacobson في إحدى محاضراته الشهيرة إلى أن نادى : "بتوثيق العلاقة بين اللسانيات والأدب عموماً" ، وتلاه عبد السلام المسدي أيضاً حين: "نادى بمد الجسور بين النقد وعلم اللسان عن طريق علم الأسلوب" ، ومعتزفاً في الوقت ذاته أنه: "من الحقائق التي غدت مقررة في عصرنا أن المعرفة الإنسانية مدينة للسانيات بفضل كثير، سواء في مناهج بحثها أو في تقدير حصيلتها العلمية" ، وكذلك جون لويس كابانيس-Jean Louis Cabanes الذي: "حاول الدفاع عن قوة العلاقة بين علم اللسان والنقد الأدبي، من خلال بيان مظاهر التأثير اللساني (دروس سوسير، مبادئ الشكلانيين الروس، ... في النقد.

-اتجاهات الاسلوبية:

1- الاسلوبية الصوتية:

2- الاسلوبية الوظيفية.

3- الأسلوبية التعبيرية

4- الأسلوبية الاحصائية

5- الأسلوبية النحوية.

-مستويات التحليل الأسلوبي: (القراءة أو المقاربة الأسلوبية)

الأسلوبية وهو علم يرمي إلى تخلص النص الأدبيّ من الأحكام المعيارية، والذوقية، ويهدف إلى علمنة الظاهرة الأدبية، والنزوع بالأحكام النقدية ما أمكن عن الانطباع غير المعلل، واقتحام عالم الذوق، وهتك الحجب دونه، واكتشاف السر في ضروب الانفعال التي يخلقها الأثر الأدبي في متقبله⁷.

والأسلوبيات -اليوم- تطمح إلى سدّ الثغرة التي كثيراً ما عانت منها الدراسة النقدية القديمة تنظيراً، وتطبيقاً، وعلماً ومنهجاً، وتسعى كذلك إلى معالجة الظاهرة الأسلوبية في نصوصها، وسياقها باعتماد المنهج اللساني. وقد تختلف المعالجة كأن تكون نسقية تركز على المعنى الإجمالي بعدّ الأسلوب نظاماً ما لغوياً، أو تركز على الخصائص الأسلوبية التي تميز نسقاً لغوياً من آخر .

فبالنظر إلى الأسلوب على أنه نظام لغويّ تقف المعالجة عند كل طريف، فتهتم بجماليات الأصوات ودلالاتها ومدى تأثيرها في المستقبل، وتعني بنسيج الوحدات الفعلية، والأسمية، كما تهتم بالتراكيب، والدلالات، وبالنظر إلى الخصائص الأسلوبية تقف الدراسة عند كل ظاهرة متميزة سواء تعلق ذلك بحسن التصرف في الاستعمال كالاختيار، والدلالة أو تعلق بانتهاكه كالعدول ومخالفة المؤلف⁸.

7- تجليات الخطاب.. في مجموعة "الأفعى" للشاعر عزوز عقيّل، اسماعيل دراجي، ص 15

8- رابح بوحوش، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص03.

ولكن نكتفي بالإشارة إلى أن الأسلوبيات في تطورها قد سلكت مسلكين أحدهما الاستقراء الذي أرسى قواعد ممارسة النصوص، فتألفت من ذلك مكونات الأسلوبيات التطبيقية وثانيهما الاستنباط الذي سوّى أسس التجريد، والتعميم، فاستقامت معه مكونات الأسلوبيات النظرية. أما الأولى فقد عكفت على ضبط المنطلقات، وصوغ فرضيات البحث، وتحديد غاياته، وأما الثانية فقد انكبت على تحسس المقاربات المتعلقة بنصائح، وإرشادات المنظرين.

أولاً: البناء الصوتي

ثانياً- البناء المورفولوجي

ثالثاً: البناء التركيبي

رابعاً البناء الدلالي

الخاتمة:

وللتفصيل في مستويات التحليل الاسلوبية يرجى مراجعة كتاب: الأسلوب والأسلوبية لعبد السلام المسدي، وكتاب رابع بوحوش، الأسلوبية وتحليل الخطاب، وكتاب: محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية.